رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال

٥

إعداد
سيد مبارك

المكتبة المحمودية

رقم الإيداع ٥٤٤٨ / ٢٠٠١

دار البيان للطباعة
هدفنا نشر الكتاب الأسلامى
تليفون وفاكس : ٢٩٦٧١٨٨

رجال ونساء حول الرسول

للأطفال

تأليف

سيد مبارك (أبو بلال)

الناشر

المكتبة المحمودية

ميدان الأزهر الشريف

ت : ٥١٠٣٠٦٧

إهداء

- إلى أبنائى الثلاثة (سارة و أحمد و بلال)
- إلى أبناء المسلمين جميعًا
- إلى المعلمين والمعلمات

أهدى هذا الكتاب ببساطة أسلوبه وسهولة عباراته لتوضيح بعض سيرة الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ، ليقتدى بهم الأطفال .

والله ولى التوفيق

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

ابني الحبيب

هذا الكتاب (**رجال ونساء حول الرسول**) تعيش فيه مع أصحاب النبي ﷺ وسيرتهم العطرة من ورع وتقوى وخوف من الله وجهاد في سبيله .

وتذكر يا بني ... أن لكل زمن رجاله وأنت وغيرك من أبناء المسلمين رجال هذا الزمان فتعلم من سيرتهم ما يعينك على أمر دينك ودنياك .

وأسأل الله لي ولك وللجميع الفلاح والصلاح والنجاة يوم القيامة والله المستعان .

وكتبه سيد مبارك (أبو بلال)

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الإثنين الموافق : ٢٢ ربيع الثاني ١٤٢١هـ

٢٤ يولية ٢٠٠٠م

❋❋❋

مقدمة تمهيدية للكتاب

انتظر « أحمد » وشقيقته « فاطمة » أصدقائهما « عبد الله وعبد الرحمن » فقد وجه « أحمد » الدعوة لهما لزيارته بناء على اتفاق مسبق بينهم ليستمعوا إلى دروس « الشيخ إسماعيل » وهو والد زميلهم « أحمد وشقيقته فاطمة » بعد ما تفضل مشكوراً بتخصيص بعض وقته لهم ، هو الرجل الأزهري الذي درس في الأزهر الشريف أصول الفقه والتفسير ليقص عليهم قصص وحياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وما هي إلا دقائق قليلة حتى حضرا وكان أهم ما يميزهم جميعًا حب العلم والمعرفة وتقارب السن فعمر « أحمد وعبد الله » عشر سنوات بينما عمر « فاطمة وعبد الرحمن » تسع سنوات ، فضلاً عن ذلك إنهم جميعًا جيران قبل أن يكونوا أصدقاء فجمعت بينهم جميعًا الصداقة والجيرة .

استقبل « أحمد وفاطمة » ضيوفهما وقاما بواجب الضيافة وقدما لهما المشروبات المثلجة ثم استأذن « أحمد » ليذهب ويخبر أباه « الشيخ إسماعيل » بحضورهما . . . أحاط الشيخ إسماعيل باستعداد الجميع لسماع الدرس علمًا ، فأذن للجميع بالدخول إلى حجرة مكتبه الواسعة والمتواضعة في نفس الوقت ، وعند دخول « عبد الله وشقيقه عبد الرحمن » إلى حجرة مكتبة الشيخ آثارت انبهارهما المكتبة الكبيرة التي تحتوي على مئات من أمهات الكتب في كافة العلوم الإسلامية من فقه ،

وتفسير، وعقيدة ، وحديث . . . إلخ .

فأخذ بلبهما روعة المكتبة فلم يشاهدان مثلها من قبل ، قام الشيخ إسماعيل فور دخول الجميع مرحبًا بضيوف أبنائه « أحمد وفاطمة » ، وبادر « عبد الله وعبد الرحمن » بالسلام فلم يكن لهما سابق معرفة «بالشيخ إسماعيل » فوجدا أمامهما رجلاً عليه سمات الصالحين وزادته لحيته الكثيفة التي تخللها الشيب هيبة ووقارًا .

فقال « عبد الله » : لقد أخبرنا صديقنا « أحمد » أنك تكرمت مشكورًا بتخصيص بعض وقتك لتقص علينا حياة صحابة النبي ﷺ ، ونعلم أن وقتك ضيق وإنا لنرجوا أن لا يشق عليك ذلك .

قاطعه الشيخ إسماعيل قائلاً : لا . . . لا يا أبنائي ، بل أصارحكم القول بأن هذا يسعدني غاية السعادة ، وأرجو من الله تعالى أن تكونوا وأنا معكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . . تفضلوا جميعًا بالجلوس وخذوا راحتكم . . ثم قال وهو يعبث بلحيته مفكرًا : بداية تعلمون أن صحابة النبي ﷺ لم يدخلوا مدارس كما دخلتم أنتم وإنما كان كل تعليمهم وعلمهم وثقافتهم في المسجد النبوي والنبي ﷺ وله المثل الأعلى هو معلمهم ومرشدهم فتعلموا منه الحلال والحرام وتفقهوا على يديه ، وحفظوا كتاب الله منه فضلاً على أنهم تناقلوا فيما بينهم أحاديثه ﷺ وأخذوا يدرسونها ويطبقونها على أنفسهم ويعلمون غيرهم ما فيها من أوامر ونواهي وترهيب وترغيب ، حتى صاروا جميعًا رهبانًا بالليل فرسانًا بالنهار رضوان الله عليهم أجمعين .

قـال « أحمـد » : كم نتمنى يا « أبـي » أن نكون مثلهم في ورعـهم وتقواهم وخوفهم من الله تعالى .

قال الشيخ إسـماعيل : إن شاء الله تعـالى ، واستبشـروا خيرًا فلكل زمان رجاله وما عليكم إلا الاقتداء بسـيرتهم العطرة وحبهم لله ولرسوله ﷺ ، وأسأل الله أن تكونوا من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله حيث جاء عن النبي ﷺ أن من السـبعة الذين يظلهم الله تعالى « شـاب نشأ في طاعـة الله » ، وإنكم يا أبنائي على الطريق الصحـيح ، وفقكم الله وحفظكم مـن كيد الشيـطان إنه للإنسـان عدو مبين .

قالوا جميعًا : آمين ، آمين يا رب العالمين .

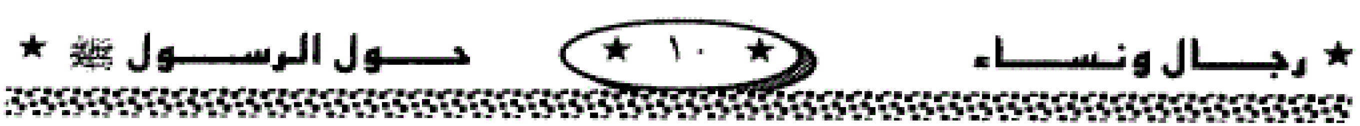
قال الشيخ إسـماعيل : حسنًا يا أبنائي . . لنجـعل في كل يوم ساعة نتحدث فيها عن صـحابي من أصحاب النبي ﷺ ، في نفس هذا الميعاد بعد صلاة العصر ، هل اتفقنا ؟

قالوا جميعًا في سعادة غامرة : نعم اتفقنا .

قال الشيخ : على بركة الله تعالى ، والآن أعيروني أسماعكم .

- وبدأ الشيخ إسمـاعيل يروي حياة الصحابة يومًا بعـد يوم « وأحمد وشقيقته فاطمة » وصديقهما « عبـد الله وشقيقه عبد الرحمن » يستمعون جـميـعًا في شوق ولهـفة ومـتـعة لا حـدود لها عن الرعـيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . .

فماذا قال الشيخ ؟!



ابنائى الأحباب

.. إن أردتم أن تعرفوا فـعلى الصفحات القادمـة إن شاء الله نعيش مع بعض الصحابة وما في حياتهم من عبر وعظات وورع وتقوى وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جـميعًا لما يحبه ويرضى إنه نـعم المولى ونعم النصير والله المستعان .

❋ ❋ ❋

١ - الشخصية الأولى

قال الشيخ إسماعيل : تعالوا يا أبنائي لنتحدث عن رجل من الصحابة خدم رسول الله ﷺ في بيته منذ أن كان عمره في مثل عمركم تقريبًا « عشر سنوات » وأبوه هو « مالك بن النضر وقد مات كافرًا وأمه هي « أم سليم » الصحابية الجليلة وسوف نقص عليكم قصتها إن شاء الله فهل عرفتم من هو هذا الصحابي الجليل؟

قالوا : نعم ، واستأذن « عبد الله » أصدقائه وأجاب نيابة عنهم : إنه الصحابي الجليل « أنس بن مالك » رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ .

قال الشيخ : نعم يا أولاد إنه « أنس بن مالك » ولخدمته لرسول الله ﷺ قصة وها هي كما ذكرت في كتب التراث .

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أخذت « أم سليم » ابنها « أنس » وعمره ١٠ سنوات لاستقبال النبي ﷺ فقد اشتاقت لرؤيته هي وابنها فقد أسلما قبل هجرته ﷺ ، فلما دخل النبي ﷺ إلى المدينة لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا أتحفت النبي بشيء سرورًا وحبًا لوجوده بينهم .

فقالت « أم سليم » للنبي ﷺ : يا رسول الله إني لا أجد غير ابني هذا فخذهُ ليخدمك ما شئت ، فمسح النبي ﷺ على رأسه بحنان وجعله في بيته ليخدمه ، وظل سيدنا « أنس » يخدم الرسول ﷺ ١٠

سنوات كاملة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى .

قال « عبد الرحمن » : « يا شيخ إسمـاعيل » كيف كانت العلاقة بين سيدنا « أنس » وبين النبي ﷺ ؟

قـال الشـيخ : هذا يا ولدي سـؤال جيـد فـإن العلاقـة بين الخـادم ومخدومـه قد وصلت في زماننا هذا إلى أمور يندى لها الجـبين خجلاً ، كـان النبي ﷺ يعـامل « أنس» معـاملة طيـبـة لم يظفـر بهـا ولد مـن أولاده، وكان ﷺ يداعـبه فـيناديـه قائـلاً : « يـا أنيـس » وهكـذا يعلمنا النبي ﷺ تفخيم الاسـم لـزيادة المحبة وتلطيـف القلـوب واستـمـالتها ، فقد كـان ينادي زوجه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهـا « بعائـش » إلى غير ذلك مما عرفنا من سمـو أخلاقه ﷺ ، ولكن للإجابة على سؤالك لنتـرك سـيـدنا « أنس » يحكي لنـا كمـا روي عنـه فـي كـتب التـراث الصحيحة .

قال : أرسلني النبي ﷺ لحاجة فخرجت ووجدت صبيانًا يلعبون فقلت أجلس معهم، ولم أذهب لما طلبني النبي ﷺ، وإذا بي أسمع صوته خلفي فأخذ بثوبي ويقول لي في حنان أبوي : «يا أنيس» اذهب حيث أمرتك .

وقال أيضًا يروي عن تجربته في خـدمة رسول الله ﷺ : لقد خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته .

قال الشـيخ : هكذا كانت العلاقـة بين أنس والنبي ﷺ علاقة قـائمة على المحبة والرحمة .

قال « عبد الله» : كيف كانت استفادة أنس من قربه من النبي ﷺ ؟

قال الشيخ : استفادة عظيـمة فالنبي ﷺ الأسوة الحسنة لمن أراد الدنيا والآخرة وفي ذلك يقـول تعالى : ﴿**لقد كـان لكم في رسول الـله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وكـان النبي ﷺ كثيرًا مـا يدعو « لأنس » وينصـحه، ودعـوته ﷺ مستجابة، ويحثه على اتباع أفعاله وأعماله فيقول له :

- يا بني إن ذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة .

- يا بني إذا دخلت على أهلـك فسلم يكـن بـركـة عليك وعلى أهل بيتك .

- يا بني إن قــدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبـك غش لأحـد فافعـل . . وغير ذلك من النصائح الطيبة .

ودعا الله يومًا قائلاً : « اللهم أكثر مـاله وولده وأطل في عمره واغفر ذنبه » .

واستجـاب الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ ، وأطال عمـر أنس حتى عاش قرنًا كاملاً ١٠٠ عام وقيل ١٠٣ عامًا ، وقد رأى من أبنائه وأحفاده مائة وكـان أكثـر الأنصار مـالاً ، وكان كـثيـر الطاعات من صلاة وصيـام وصـدقة . . إلخ .

وفي ذلك يقـول سيدنـا أبو هريرة عنه : ما رأيت أحـدًا أشبـه صلاة برسول الله من ابن أم سليم .

وكان رضي الله عنه إذا خـتم القرآن جمع ولده وأهل بيتـه فدعا لهم وهو ثالث اثنين في رواية أحاديث النبي ﷺ بعد أبي هريرة وعبد الله بن

عمر رضي الله عنهما .

. . . **وأخيرًا يا أبنائي** كما تعـلمون أنه عاش قرنًا من الزمـان أو أكثر بثلاث سنوات ، على اختلاف الروايات وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة وكان موته سنة اثنتين وتسـعين وقيل ثلاث وتسعين هجريًا وغسله محمد بن سيرين من التابعين رحمه الله تعالى .

ورحم الله أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أو « أنيس » كما كان يناديه ﷺ ومات وهو عنه راض وكان ممن قال الله عنهم :

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

هذه يا أبنائي قـصة رجل من الرعـيل الأول الذي تخرج من مـدرسة النبوة التي أشـاعت نور الإيمان والتوحيـد في مشارق الأرض ومغـاربها وأرى أن الساعة قد مرت سريعًا وغدًا إن شاء الله تعالى نلتقي مرة أخرى في نفس هذا الميعاد مع شخصية أخرى .

فقام « أحمد وشقيقته فاطمة » وتقدم « عبد الرحمن وشقيقه عبد الله» بمصافحة الشيخ إسماعيل.

وقال « عبد الله» : لقد كانت جلسة طيبة جزاك الله عنا خيرًا .

قال الشيخ : وإياكم وجميع المسلمين يا أبنائي .

ثم ودع « أحمد وشقيقته » ضيـوفهما « عبد الرحمن وعبد الله » على وعد أن يلتقي الجميع غدًا إن شاء الله .

٢ - الشخصية الثانية

جلس الأطفال في مكتب «الشيخ إسماعيل» الذي كان يتصفح بعض الأوراق ثم جمعها ورتبها ونحاها جانبًا ونظر إليهم وقال :

يا أبنائي . . .

حديثنا اليوم عن شخصية عظيمة تنتمي لأسرة عظيمة دعا لهم النبي ﷺ بالجنة ، ودعوني أختبر معلوماتكم الدينية فأبوه هو « ياسر بن عامر » وهو صحابي جليل جاء إلى مكة قبل إسلامه يبحث عن أخ له فلما لم يجده أحب مكة وطاب له المقام فيها ولما كان من المستضعفين في الأرض لا حول له ولا قوة في مجتمع لا يعترف إلا بالقوة والحسب والشرف والمال فكان كغيره من المستضعفين لا بد أن يدخل في حلف من الأحلاف ليدخل تحت حماية من لهم القوة والنفوذ من سادات قريش وزعمائها على أن يدين له بالسمع والطاعة ، وهذا ما حدث مع « ياسر ابن عامر » فقد حالف « أبا حذيفة بن المغيرة » من بني مخزوم ، والذي رأى فيه من الصفات والشمائل وكرم الأخلاق ما جعله يحبه ويزوجه من جارية له اسمها « سمية بنت خياط » وكان من ثمرة هذا الزواج الصحابي الذي سوف نتحدث عنه اليوم فهل عرفتموه ؟

رفع « عبد الله » يده يستأذن الشيخ للإجابة فأذن له فقال :

إنه الصحابي الجليل « عمار بن ياسر » رضي الله عنهما .

قال الشيخ : نعم يا ولدي . . أحسنت إنه « عمار بن ياسر » وأسرته

ولهم قصة عظيمة في الصبـر والصمود ستظل خالدة في القلوب إلى أن يرث الله الأرض ومـا عليها . . والآن اسـمعـوني جيدًا ، وبـدأ الشيخ إسماعيل يقص على الأطفال قصة « عـمار بن ياسر » وأسرته فماذا قال الشيخ ؟

قال : يا أبنائي لقد عـاش عمار ووالديه تحت حـمـايـة « أبى حذيفة ابن المغيرة » عـيشة راضية ، وتمـر الأيام ويصـبح « عمـارًا » شـابًا قويًا فلما بعث الله نبـينا ﷺ وأمره بإنذار عشيـرته سمع عمار أخـبار الدعوة الجديدة التي تدعوا إلى توحيد الله وإخلاص العـبودية له سبحانه فشرح الله لها قلبه وعـقله وذهب إلى دار « الأرقم بن أبى الأرقم » المقر الذي يجتـمع فيه النبي ﷺ مع أصـحابه في بداية الدعوة . . ثم عـاد إلى أمه فأخـبرها ودعـاها إلى الإسلام فـأسلمت ، وفعل نفس الشيء مـع أبيه فأسلم .

إنها قلوب متـعطشة للإيمان والحق ، وانتشر خبـر إسلام « آل ياسر » إلى بني مخزوم الذي كانت تظلهم حمايتهم فغضبوا غضبًا شديدًا وقاموا بتعذيبهم ليرتدوا عن دين محمد ﷺ .

كانت يا أبنائي أسرة لا حول لها ولا قوة إلا بالله فاستسلمت لمصيرها وقضـاء الله وقـدره ليختـبـر إيمانهم وصبـرهم فهـو سبـحانه القـائل : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ [محمد : ٣١] .

وتعرضت الأسرة لتعذيب بشع وشديد فقد كانوا يأخذونهم ويلبسونهم دروع من الحديد ثم يجعلوهم تحت أشعة الشمس الحارقة ساعات طويلة تحرق جلودهم مع منعـهم من الماء وضربهم بالسيـاط يفعلون ذلـك كل يوم .

وفي أثناء ذلك يمر النبي ﷺ ولا يستطيع أن يفعل لهم شيئًا فقد كان المسلمين قلة ولم يأمره الله بعد بالجهاد فتأخذه الشفقة والرحمة والحنان بهم فيقول:

« صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

ومن شدة العذاب مات « ياسر » والد عمار وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وهو أول شهيد في الإسلام .

أما أمه « سمية » فقد سبها « أبو جهل » وكان رجلاً كافرًا غليظ القلب من سادات قريش وزعمائها بأفحش الأقوال فلم ترد عليه أم عمار فاغتاظ وأخذ رمحه وطعنها به أسفل بطنها فخرجت من ظهرها فكانت أول شهيدة في الإسلام رحمهما الله تعالى ورضي عنهما .

قال الشيخ : وهكذا يا أبنائي لم يبق إلا بطلنا « عمار بن ياسر » الذي رأى بعينيه موت أبويه فلم يؤثر ذلك في عزيمته وصبره وثباته على قول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

ولكن الكفار عرضوه لأنواع من العذاب لا طاقة لبشر بها للدرجة التي لم يعرف فيها ما يقول . . . وفي يوم من الأيام يمر النبي ﷺ عليه ليطمئن عليه ويدعو له فوجده حزينًا يبكي .

فقال : ما بك يا عمار ؟

قال : عذبت حتى نالني الجهد وذكرت آلهتهم بخير .

قال له النبي ﷺ : وكيف تجد قلبك يا عمار ؟

قال : أجده مطمئنًا يا رسول الله .

قال : لا عليك . . وإن عادوا إلى مثلها فعد إلى مثل ما قلت ثم

أكرم الله عمارًا وأنزل فيه قرآنًا فقال تعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

وهذا من عظمة ديننا يا أبنائي أن من أكره على شيء وقلبه مطمئن بالإيمان فلا يحاسبه الله عليه .

أبنائي الأحباب

لقد صمد عمار على التعذيب حتى حل التعب والإجهاد بجلاديه فتركوه ، ولما أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة حيث الأمان وقوم يحبهم الله ويحبونه ، هاجر «عمار» مع من هاجر من الصحابة .

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فرح به عمار كما يفرح الحبيب بلقاء حبيبه ولازمه فكان لا يفارقه ليل نهار ، وبادله النبي ﷺ حبًا بحب فكان إذا أقبل عمار عليه يقول ﷺ « جاء الطيبُ المُطيَّبُ » .

وقال عنه أيضًا : « من عادى عمارًا عاداه الله ومن أبغض عمارًا أبغضه الله » وذلك عندما وقع بينه وبين خالد بن الوليد رضي الله عنه خلاف بسيط فأسرع خالد إليه يعتذر بعد الذي قاله النبي ﷺ حتى لا يتعرض لبغض الله ورسوله ﷺ .

والجدير بالذكر يا أبنائي أن النبي ﷺ تنبأ باستشهاد عمار فقال : «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية » وقد حدث هذا ومات شهيدًا في الخلاف الذي نشأ بين سيدنا معاوية وسيدنا علي رضي الله عنهما وتدخلت

الخوارج بينهـما وهم فئة خـرجت عن الجماعـة وأوقعت بين المسلمين ، وكان سـيدنا « عـمار بن ياسـر » مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يدافع عـما رآه حـقًا وعـمره في ذلك الوقـت ٩٣ عامًا وهو يقـول في لحظاته الأخيرة كمن يعـرف نهايته ومصيره : « اليوم ألقى الأحبـة محمد وصحبه » .

ووقع البطل بعد عمـر طويل في ميدان القتال شـهيدًا ليلقى النبي ﷺ وأصحابه ممن سبقوه في نيل الشهادة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

❊ ❊ ❊

٣ - الشخصية الثالثة

جلس الأطفال أمام « الشيخ إسماعيل » وكل واحد منهم يشاور عقله وقلبه ويحاول أن يتكهن بشخصيـة اليوم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقد جعلوا ذلك مسابقة خاصة بينهم ، من يصيب ومن يخطئ، ومع أول كلمات الشيخ إسماعيل خاب ظنهم جميعًا .

قال الشيخ : يا أبنائي شخصيـة اليوم من الصحابة على جانب عظيم من الشجاعة والمحبة للنبي ﷺ إنها امرأة مجاهدة .

هتف الأطفال في دهشة بالغة : امرأة !!

قال الشيخ : نعم يا أبنائي . . امرأة ، ولماذا هذا التعجب ألا تعلمون أن مجتمع الصحابة كان رجالاً ونساءً ثم إنكم إذا سـمعتم قصتها فسوف تتعجبون أكثر .

وهنا تحدثت فـاطمة لأول مـرة وهي تنظر نظـرات ذات مغـزى إلى الجميع . . تعلم يا أبي أن النساء تثير عجب الرجال على الدوام ونحن في شوق لمعرفة ما تفعله امرأة من صحابيات الرسول ﷺ .

قال الشيخ وهو يبتسم لحديثهـا : نعم يا فاطمة . . إنها امرأة مجاهدة أحبت النبـي ﷺ أكثر من زوجـها وابنها وأبـيها إنهـا الصحابيـة الجليلة «نسيبة بنت كعب » التي اشتهرت بكنيتها « أم عمارة » .

قالت فاطـمة بفخر زائد : سمـعت كثيرًا أن النســاء كان لهم دورًا لا يقل عن الرجال في نصر دين الله والدفاع عن رسول الله ﷺ .

قال الشيخ : نعم .. والآن لنسمع قصتها وأرجو عدم المقاطعة حتى أنتهي اتفقنا .

قالوا جميعًا : اتفقنا وهذا وعد وبدأ الشيخ إسماعيل يتحدث والأطفال مبهورين بكل كلمة أو عمل لهذه الصحابية « أم عمارة » فماذا قال الشيخ ؟

أبنائي الصغار . . .

اعلموا أن « أم عمارة » رضي الله عنها لها صلة قرابة بأم النبي ﷺ «آمنة بنت وهب » لأنها مثلها ترجع أصولها إلى بني النجار ، وقد ظهرت شجاعتها في معركة « أحد » عندما أراد المشركون أن يثأروا لهزيمتهم وقتلاهم في بدر ، وكما تعلمون أن الرماة عصوا أمر النبي ﷺ بالمكوث وعدم ترك أماكنهم حتى يأمرهم لئلا ينكشف ظهر المسلمين ولكن للأسف الشديد عصوا أمر النبي ﷺ ونزلوا للحصول على الغنائم مما ترك ثغرة وانكشف ظهر المسلمين واستغل قائد الكفار - وكان في ذلك الوقت خالد بن الوليد - ولم يكن قد أسلم بعد وأحاط بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ثم هجم عليهم ففر من فر من المسلمين ، وبقى من بقى يدافع باستماتة وشجاعة عن النبي ﷺ لأن الكفار أدركوا أن قتله ﷺ قتل للدعوة كلها وعدم انتشارها فجعلوا ذلك هدفهم وغايتهم الكبرى .

وأدرك ذلك أصحاب النبي ﷺ ممن بقى يدافع عنه بروحه وجسده ومن هؤلاء الصحابية الجليلة « أم عمارة » ومعها ابناها « عبد الله وحبيب » وكانت تحمي النبي ﷺ بجسدها غير عابئة بالموت ولا بالسهام والرماح التي تنهال عليها من كل جانب ، وسالت منها الدماء فلم تهتم ولم

تحاول حتى أن تطمئن على أولادها وفلذات أكبادها فكل همها وخوفها على حياة النبي ﷺ .

كانت المعركة تدور من جانب واحد هجوم شرس من المشركين ودفاع مستميت من المسلمين عن رسول الله ﷺ ، وظلت « أم عمارة » تدافع عن النبي ﷺ بشجاعة منقطعة النظير ، ولم تكن ترتدي درعًا يحمي جسدها من ضربات السيوف وطعنات الرماح ، ولما أصيب أحد المجاهدين بسهم أقعده عن القتال صاح فيه النبي ﷺ: « اخلع درعك لمن يقاتل » فخلع الرجل درعه وطلب النبي ﷺ من « أم عمارة » أن ترتديه ففعلت .

وبينما القتال دائر بين الفريقين استطاع فارس من المشركين أن يضرب «أم عمارة » فجرحها فصاح النبي ﷺ في ابنها « يا ابن أم عمارة أمك . . أمك » واندفع « عبد الله » نحو الفارس ولكن « أم عمارة » تحاملت على نفسها وقتلته قبل أن يأتي ابنها الذي تربص له فارس آخر فضربه بالسيف فبتر ذراعه ووقع بجانب النبي ﷺ .

فلم تجزع « أم عمارة » على ابنها وإنما قالت له : « انهض يا بني لتحارب القوم إنهم لم ينتهوا بعد من عمل الشيطان » .

قال النبي ﷺ : « ومن يطق ما تطيقين يا أم عمارة ! » .

ورأى النبي الفارس الذي نال من ابنها وأشار إليه فانطلقت إليه بكل شجاعة قائلة : أحد . . أحد وهو شعار المسلمين في هذه المعركة .

وأخذت تبارزه وهي تقول : سأقتلك يا عدو الله. أعرف أنك ترتجف من الرعب فإذا كنت ترتجف من البرد فسأقتلك لتدفئ في جهنم وما هي

إلا لحظات حتى بترت ساقه وقتلته .

عندئذ ابتسم النبي ﷺ وقال : « الحمد لله الذي أقر عينيك من عدوك وأراك ثأرك بعينيك » .

وبعد يا أبنائي . . فقد حمى وطيس المعركة في الهجوم الشرس من المشركين والدفاع المستميت للمسلمين عن النبي ﷺ ، وكان من المشركين فارس اسمه « ابن قميئة » يعتز به المشركون وقد أقسم أن ينتقم لقريش ويقتل محمداً ﷺ فتقدم على فرسه وهو يصيح : دلوني على محمد لأقتله فلا نجوت إن نجا ، فاعترض طريقه سيدنا « مصعب بن عمير » أول سفير في الإسلام أرسله النبي ﷺ للمدينة قبل هجرته ليدعوهم إلى الإسلام فأسلم على يديه الكثير ، منهم «أم عمارة وزوجها » ، ولكن «ابن قميئة » تمكن من قتل سيدنا مصعب فمات شهيداً رضي الله عنه وتقدم نحو النبي ﷺ وكان عدو الله يرتدي درعان يحمياه ، فتصدت له « أم عمارة » بكل شجاعة بلا خوف وضربته وضربها فجرحها جرحًا شديدًا ، فقال النبي ﷺ لابنها : « أمك . . أمك يا عبد الله اعصب جرحها » ، ولكن « أم عمارة » ما كانت لتقبل الهزيمة فقامت ولم تبالي بالدماء وتحاور وتناور « ابن قميئة » الذي ارتبك بشدة وفر هاربًا من أمامها كالفأر .

فقالت أم عمارة بغيظ : لقد ضربته بسيفي هذا ولكن عدو الله كان عليه درعان ثم قالت : إن درعي عدو الله هالكتان أما درعاي فهما باقيتان إلى الأبد .

سألها ابنها أي درعين يا أماه إن عليك درعًا واحدة !!

قالت : أنا لا أتحدث عن دروع الدنيا فكل ما فيها هالك إلا وجه الله .

أما درعاي اللذان أعتز بهما فهما حب الله وحب رسوله ﷺ .

هنا ابتسم النبي ﷺ رغم الموقف العصيب وقال : « بارك الله عليكم من أهل بيت » .

فأغرورقت عيناها بالدموع لدعوة النبي لها ولأهل بيتها وقالت : يا رسول الله ادع الله سبحانه أن نرافقك في الجنة .

فقال ﷺ : « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة » .. وبكت أم عمارة وقالت : ما أبالي بعد اليوم بأي شيء يصيبني في هذه الدنيا ...
سكت الشيخ إسماعيل .. ثم نظر إلى الأطفال وقال :

وهذه يا أبنائي صور من مواقف كثيرة لهذه الصحابية الجليلة « نسيبة بنت كعب » المعروفة باسم « أم عمارة » رضي الله عنها وأرضاها ، وقد انتهى الوقت وغداً إن شاء الله نلتقي مع شخصية أخرى .

❋ ❋ ❋

٤ - الشخصية الرابعة

في الميعاد المحدد جلس الأبناء داخل حجرة مكتبة « الشيخ إسماعيل » الذي كان يجلس أمامهم وينظر إليهم في حب وحنان ويقول :

أرجو ألا أكـون قد أرهقـتكم في حديثي مـعكم خلال الأيام الـثلاثة الماضية ، وإن شئتم لنجعلها يومًا ويوم .

قال « عبد الله » نيابة عن الجمـيع : لا . . والله إنا لنستمتع بحديثك وننتظر بشوق ورغبة اليـوم التالي ونتمنى أن يمضي الوقت سريعًا لنجلس هنا فلا تحرمنا من هذه المتعة؟

قال الشيخ : وهو كذلك يا أبنائي ، والآن حـديثنا عن صحابي جليل قرأ القرآن على النبي ﷺ فبكى . . ، وأخذ الشـيخ يتحدث ساعة كاملة فماذا قال ؟!

أبنائي وأحبابي

. . إن من نتحـدث عنه رجل يندر أن يجود الزمـان بمثله وهو سادس ستـة أسلموا على وجـه الأرض منذ بعث النبي ﷺ بالإسـلام وكان من المستضعـفين في الأرض قصير القامة . . ضئـيل البدن لا يستطيع أن يرفع رأسه أمام جبابرة قريش .

ثم حدثت المعجزة وأسلم وشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . . فماذا حدث؟!

صار قـويًا بإيمانه . . معـتزًا بإسـلامه لا يخاف في اللـه لومة لائم ، وانتقل من رعاية الغنم لسيد من سادات قريش هو « عقبة بن أبي معيط » إلى خدمة سيد الخلق والأمم الرسول المصطفى ﷺ .

وقد لازم النبي ﷺ مـلازمة الظل لصاحبه ، يوقظـه إذا نام ، ويستره إذا اغتسل ، ويـلبسه نعليه إذا أراد الخـروج ويخلعهما من قـدميه إن أراد الدخول ، ويحـمل له عصـاه وسواكـه ووضوئه فضـلاً عن هذا كله يا أبنائي أنه كان الوحيد الذي يدخل على النبي ﷺ في أي وقت حتى كان يلقب « بصاحب السوار » أي صاحب السر .

يقول عنه أبـو موسى رضي الله عنه : لقد رأيـت النبي ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله . .

نعم يا أبنائي

إنه ابن مسعود الصـحابي الجليل صاحب الجسم الضئـيل الذي اشتهر بين الناس « بابن أم عبـد » ، أما عن قصة إسـلامه فلنسمع ابن مـسعود وهو يرويها بنفسه كما جاء في سيرته العطرة قال :

« كنت غلامًا يافعًا أرعى غنـم عقبة بن أبي معـيط ، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر يومًا وهما في شدة الظمـأ . . . فقالا لي : يا غلام هل عندك ما تسقينا؟

قلت : إني مـؤتمن لست ساقـيكما . . فـعجب النبي ﷺ إخـلاصه وقال: هل عندك شـاة حائل لم ينز عليـها الفـحل « أي شاة صغـيرة لا عهد لها باللبن » . .

قال : نعم . . ثم أتى بها .

فأمسكها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا ربه وسمى الله فإذا بالضرع يفيض باللبن فشرب النبي ﷺ وأبو بكر ، ثم سقياني معهما ، وأنا لا أكاد أصدق ما أرى .. ثم قال النبي لضرع الشاة : انقبض فعاد كما كان .

فقلت للنبي ﷺ : علمني من هذا القول الذي قلته .

فقال لي : إنك غلام مُعلم .

تلك يا أبنائي هي البداية لهذا الصحابي مع النبي ﷺ فلما أسلم تعددت مواقفه العظيمة فهو أول من جهر بعد النبي ﷺ بالقرآن في الكعبة وهذه هي القصة :

اجتمع أصحاب الرسول ﷺ ذات يوم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهم إياه ؟

فقال في شجاعة : أنا .

قالوا : لا . . . نريد رجلاً له عشيرة من القوم يمنعونه من القوم إن أرادوا به شراً .

قال بإيمان : فإن الله سيحميني .

وذهب عند المقام ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان** ﴾ .

[الرحمن : ١ - ٤] .

فقالوا : ماذا يقول ابن أم عبد ؟

قال بعضهم : إنه يتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا وضربوه وهو يستمر في القراءة ما شاء الله حتى تركوه والدم يسيل منه .

فقال له أصحابه : هذا ما خشيناه عليك .

قال : والله ما كان أعداء الله أهون في عيني الآن وإن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا « أي أفعل كما فعلت اليوم غدًا » فقالوا : لا . . يكفيك لقد أسمعتهم ما يكرهون .

وكأنما أراد الله له بهذا العمل أن ينعم عليه بنعـمته وفضله فكان صوته جميـلاً حتى قال النبي ﷺ : « من أحب أن يقرأ القرآن غـضًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » .

وفضلاً عن حـلاوة صوته كان يتصف بغزارة العلم وقـال عن نفسه : «والله مـا نزل من القرآن شـيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل ولا أعلم أحدًا يمتطى إليه الإبل أعلم بكتاب الله إلا أتيته وما أنا بخيركم » .

وقد بلغت منزلة عبد الله بن مسعود يا أبنائي درجة عالية حتى أن النبي ﷺ أرسل إليه وقال : يا ابن مسعود اقرأ عليَّ القرآن .

قال متعجبًا : أقرأ وعليك نزل!

قال : نعم ، إني أحب أن أسمعه من غيري . . . ، وأخذ ابن مسعود يقرأ من سورة النساء حتى وصل لقوله تعالى :

﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمـة بشهيـد وجئنا بك على هؤلاء شهـيدًا ﴾

[النساء: ٤١] .

فنظر إلى النبي ﷺ فـإذا به يبكي ويقـول : حـسبك حـسـبك يا ابن مسعود .

إن ابن مسْعـود يا أبنائي رغم ضآلة جسـده وحجمه شارك فـي جميع الغزوات وتفرغ للدعوة والحديث بعد موت النبي ﷺ .

وحدث مرة في عـهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عـندما كان ابن مسـعود أميـرًا على الكوفة أن رجلاً جـاء إلى عمـر بن الخطاب يقول : جـئت لك من الكوفـة وتركت رجـلاً يمـلي المصـاحف عن ظهـر قلب فغضب عمر وهو يقول ويحك من هو؟

قال : عبـد الله بن مسعود . . فما زال الغـضب يزول عن عمر وهو يقـول : والـله لا أعلم أنه بقي من الـناس أحـد أحق بهـذا الأمـر منه وسأحـدثك عن ذلك . . بينما أنا والنبي ﷺ وأبو بكر نتشـاور في أمور المسلمين خرجنا فإذا رجل قائم يصلي لم نعـرفه فوقف النبي ﷺ يستمع إليه ثم قال :

« من سـره أن يقـرأ القـرآن رطبًا كـما نزل فليقـرأه على قراءة ابن أم عبد » . .

ثم جلس ابن مسـعود يدعو والنبـي ﷺ يقول : « سل تعط . . سل تعط » . .

فقلت لأذهب إليـه وأبشره فوجدت أن أبا بكر سـبقني وما سبـقته إلى خير قط .

هذا وقد عاش ابن مسعود حتى خلافة عثمان فلما مرض مرض الموت جاءه « عثمان بن عفان » رضي الله عنه عائدًا .

فقال له : مم تشتكي ؟

قال : ذنوبي .

قال : فما تشتهي؟

قال ابن مسعود : رحمة ربي .

قال عثمان : آمر لك بعطائك الذي امتنعت عن أخذه من سنين؟ .

قال : لا حاجة لي به . قال : يكون لبناتك من بعدك .

قال ابن مسعود : اتخشى على بناتي الفقر إني أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة .

وإني سمعت النبي ﷺ يقول : من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا « أي الحاجة والفقر » .

ولقد مات ابن مسعود يا أبنائي وهو ابن بضع وستين سنة وصلى عليه المسلمون وعلى رأسهم « الزبير بن العوام » ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه ورحمه رحمة واسعة .

❋ ❋ ❋

٥ - الشخصية الخامسة

جلس الأطفال كعادتهم ينتظرون بشغف الشيخ إسماعيل ، أن يحدثهم عن الصحابة وسيرتهم العطرة رضوان الله عليهم أجمعين فقد صلوا العصر في المسجد وسبقوه إلى المنزل ، فجاء وهو يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قالوا في آن واحد : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

قال الشيخ : أراكم قد جئتم مبكرين عن الميعاد بربع ساعة كاملة قال « عبد الله » : اعذرنا « يا شيخ إسماعيل » فإن عقارب الساعة تمضي بطيئة وتحدونا اللهفة لسماع حديثك الشيق عن الصحابة الأبرار .

وهذا ليس رأيي وحدي وإنما نحن جميعًا كذلك .

قال الشيخ إسماعيل : الحمد لله الذي هداكم لحبّ الله ورسوله وصحابته .

وأنصحكم يا أبنائي أن تترجموا هذه المحبة لعمل وتقتدوا بهم فذاك وحده الدليل العملي لحبكم إياهم ووفقكم الله لهذا .

قال « أحمد » هذا ما نتمناه يا أبي ونحن نستمع إليك .

قال الشيخ : عظيم جدًا والآن اجلسوا فحديثنا اليوم عن صحابية اشتهرت « بذات النطاقين » هل تعرفونها ؟

قال الجميع : نعم .

واستأذنت « فاطمة » كي تجيب وقالت : إنها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

قال الشيخ إسماعيل : نعم والآن استمعوا إليَّ جيداً .

أسماء يا أبنائي . . هي الأخت غير الشقيقة لعائشة أم المؤمنين لأن أم أسماء هي « فتيلة » .

وأم عائشة هي « أم رومان » وكان أبوهما أبو بكر الصديق أحب الناس إلى قلب النبي ﷺ .

هذا وقد فضلت أسماء أن تعيش مع زوجة أبيها « أم رومان » ومع أختها « عائشة » عن المعيشة مع أمها ، وعلى الرغم من أن « أسماء » تكبر عن عائشة بعشر سنوات إلا أنها كانت تحترم مكانتها كزوجة للنبي ﷺ وتناديها « بأم المؤمنين » وكذلك كان يفعل أبوهما أبو بكر رضي الله عنه .

ولأسماء يا أبنائي لقب مشهور ، وهو « ذات النطاقين » أتعرفون لماذا؟

لأنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها اثنين ، فعلقت السفرة بواحد وتنطقت بالآخر فسميت بذات النطاقين لذلك .

ولقد تعرضت ليلة هجرة النبي وأبيها لموقف عصيب فقد جاء « أبو جهل » لعنه الله عندما خرج أبو بكر والرسول ﷺ يسأل عنهما في بيت أبي بكر فخرجت له أسماء .

فقال لها : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟

قالت : لا أدري . .

فـرفع « أبو جهل » يده ولطم خـدها لطمـة شديدة أطار القـرط من أذنيها فاستحملت هذا ولم تخبره بمكانهما .

وتمر الأيام وتتزوج أسماء بفـارس من أبطال الإسلام وهو « الزبير بن العوام » الذي كان شديد الـغيرة عليها للدرجة التي كانـت تؤذيها غيرته ومع ذلك كانت تحـبه وتحتـرمه وتعمل عـلى عدم إثارة غيـرته ، وتقوم بخـدمته هـو وأولاده وترعـى فـرسـه المسمى « الـيعسـوب » فتـأتي له بطعامه من النوى في أرض بعـيدة لهما ثم تطحنه بالرحا وتقـدمه لفرس الزبير .

وهذا كان يصيـبها بالإرهاق والتعب الشـديد ، ولقد رآها أبوها يومًا وشكت له ما تعانيه .

فقال : أتحبين زوجك؟

قالت : نعم ولولا أني أحبه ما صبرت على كل ذلك .

قال : أتحبين أن تكوني زوجته في الجنة؟

قالت : أحب أن أبعث وإني زوجة له .

قال : إذن اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تتزوج من بعده جمع بسهمها في الجنة .

وهذا بالضبط ما حدث يا أبنائي عندمـا مات « الزبير بن العوام » فلم تتزوج بعده حتى ماتت لتكون زوجته في الجنة .

من صـور عظمـة « أسمـاء » كـأم أنهـا زرعت في أبنائهـا حب الله ورسوله ﷺ وقد علمتـهم جميعًا القرآن وكانوا ثمانية أطفـال خمسة من

الذكور هم عـبد الله وعروة والمنذر وعاصم والمهـاجر وثلاث من الإناث وهي خديجة وأم الحسن وعائشة .

وكانت تحث ابنها « عـبد الله بن الزبير » وهو في السادسـة من عمره على الذهاب إلى المسـجـد وتشجـعه للذهاب إلـى خالتـه « عائشـة أم المؤمنين» ليتعلم منها والتي كانـت تحبه وتعلقت به حتى أن النبي ﷺ كان يناديها « بأم عبد الله » .

وكان ﷺ يحبه لذكائه ويقول « إنه ابن أبيه » .

وهذا لا شك ثمرة التربية العظيمة له من أمه أسماء .

ولا بـد يـا أبـنـائي مـن ذكـر هـذا المـوقف « لعـبـد الله بن الزبيـر » لنـدرك عظـمـة مـا غـرزته أسـمـاء فـي قـلـوب أبنـائـهـا وخـصـوصـًا «عبـد الله » .

حدث في عهد عمر بن الخطاب أن عـبد الله كان يلعب مع صبية في نفس سنه فسمعوا صوتًا يقول:

أفســحوا الطريق لأمير المؤمـنـين . . . ففر الجمـيع فقد كان لعــمر بن الخطاب هيبة عند الكبار والصغار معًا .

ولكن . . . ظل « عبد الله » واقـفًا فلفت ذلك نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسأله : لماذا لم تفر مع الصبية ؟

قال : ولماذا أفـر يا أمير المؤمنين ؟ ليست الطريق ضـيق فأوسع لك ، ولم أقترف ذنبًا حتى أخافكَ وأنا لا أخشى إلا الله .

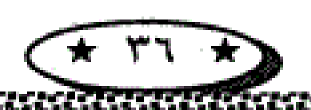
فسأله عمر عن اسمه فلم يكن يعرفه إلا صغيرًا .

فقال : اسمي « عبد الله بن الزبير » .

فقال عمر وهو يبتسم : صدق رسول الله ﷺ إنه ابن أبيه .

نعم يا أبنائي من كان أبوه هو الزبير بن العـوام ، وأمه هي أسماء فلا بد أن تكون الثمرة طيبة وعظيمة .

❋ ❋ ❋



٦ - الشخصية السادسة

قال الشيخ إسماعيل بصوت واضح للأطفال الذين جلسوا أمامه : يا أبنائي إننا اليوم سوف نتحدث عن قصة رجل كثيرًا ما نسمع اسمه عندما يروى أحد حديثًا عن النبي ﷺ .

وأنا وزملائي من شيوخ الأزهر وأئمة المساجد نذكره على الدوام فهو شخصية عظيمة حفظت الكثير من أحاديث النبي ﷺ وعلمها للصحابة الذين نقلوها عنه وعلموها لغيرهم حتى وصلت إلينا بعدما حققها العلماء وصححوها حتى لا يلتبس كلام النبي ﷺ بكلام غيره ، وهذا الصحابي في الجاهلية كان اسمه « عبد شمس » فلما أسلم غير النبي اسمه إلى « عبد الرحمن » ولكنه اشتهر بكنيته التي إن قلتها عرفتموه على الفور ، فهل تعرفون من هو ؟

صمت الجميع . . فقال الشيخ إسماعيل ، وهو يبتسم . . . حسنًا إن كنيته جاءت من أنه في صغره كانت له هرة يعتني بها ولا تفارقه أبدًا . .

وهنا لم يستطع الأطفال الصمت فقد أدركوا اسمه وتنافسوا على الإذن بالإجابة . .

وابتسم الشيخ إسماعيل للمرة الثانية وهو يقول:

أعلم أنكم جميعًا قد أدركتم اسمه من كنيته التي اشتهر بها ، ودعوني أجيب نيابة عنكم إنه سيدنا « أبو هريرة » رضي الله عنه .

قالت فاطمة: كيف يا أبي يستطيع الإنسان حفظ آلاف من الأحاديث عن النبي ﷺ ولا يخطئ ؟

قال الشيخ : يا بنيتي إن لهذه قصة ولو انتظرتي قليلاً لأخبرتكم جميعًا بها . .

والآن يا أبنائي اسمعوني جيداً فشخصيته جديرة بالاستماع ، وأخذ الشيخ يحكي عن فضائل « أبى هريرة » والجميع ينصت في اهتمام .

لقد كانت لسيدنا أبى هريرة ذاكرة قوية وكان سبب ذلك تأمين النبي ﷺ على دعائه . . فقد دخل النبي ﷺ المسجد يومًا فوجد « أبا هريرة » « وزيد بن ثابت » وصاحب له يدعون الله تعالى ، وجلس النبي ﷺ وسمع دعاء زيد وصاحبه وأمن على دعائهما وقال : آمين . . . آمين ، ثم دعا أبو هريرة قائلا: اللهم إني أسألك ما سألك صاحباي وأسألك علمًا لا يُنسى .

فقال النبي ﷺ آمين . . آمين ، وسارع « زيد بن ثابت » يقول : ونحن نسألك علمًا لا ينسى .

فقال النبي ﷺ : « لقد سبقكم بها أبو هريرة » .

ولعل يا أبنائي ما يدل على قوة حفظه ويبرهن عليه أن في عهد «مروان بن الحكم » كان قد دعاه وطلب من كاتبه أن يجلس خلف حجاب يكتب ما يقوله « أبو هريرة » فلما جاء ، طلب « مروان » أن يحدثه بأحاديث النبي ﷺ فأخبره ، وبعد عام كامل دعاه وطلب أن يحدثه بنفس الأحاديث التي كان قد دونها كاتبه فأخبره بها ولم ينس

حرفًا واحدًا مما قال .

وهكذا يتبين عظمة هذا الصحابي وقوة حفظه .

أبنائي . . .

على الرغم مما أنعم الله عليه به إلا أنه تعرض لبعض المواقف الصعبة لكثرة إخباره بأحاديث المصطفى ﷺ .

قال « عبد الرحمن» : كيف ذلك إنه لشرف أن يحفظ الإنسان أحاديث النبي ﷺ ويحدث بها الناس؟ .

قال الشيخ : نعم يا بني ولكن الحديث بما قاله النبي ﷺ لا شك يختلف عن حديث غيره من البشر لأنه وحي من السماء وتشريع يعمل به الناس ولهذا قال ﷺ : « **من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » .

ولو أدركتم معنى هذا أدركتم خطورة أن يقول الإنسان حديثًا عن النبي ﷺ حديثًا يعلم أنه غير صحيح .

وأن أعداء الإسلام وأصحاب المصالح والأهواء ذكروا أحاديثًا عن النبي ﷺ لم يحدث بها أمته ويعمل بها الناس بحسن نية ولهذا كله وجد أبو هريرة معارضة شديدة من « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه فقد قال له يومًا : لتتركن الحديث عن النبي ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس - وهي أرضه وموطنه - ويقصد أن ينفيه إليها بعيدًا عن الناس وما كان ذلك إلا لخوف عمر أن يخلط الناس بين أحاديث النبي ﷺ والقرآن ولذلك كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله . . .

ولكن مع ذلك كان « عمر » يعلم أن أجدر الناس بالحديث عن النبي هو « أبو هريرة » ويعلم ورعه وصدقه وإخلاصه ولكن كان يخاف أن يختلط الأمر على الناس بين كلام الله وكلام رسوله ﷺ .

ولكن « أبا هريرة » ظل يحدث ويقول: والله لولا آية في كتاب الله ما تحدثت بأحاديث النبي ﷺ .

قال تعالى:

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾.

[البقرة : ١٥٩] .

فكما تروا يا أبنائي . . .

كان يخاف الله أن يحاسبه فهو أكثر الصحابة جلوسًا في المسجد بين يدي النبي ﷺ فضلاً عما أنعم الله به عليه من قوة حفظه ببركة تأمين النبي على دعائه ، وكتم الحديث كتم للعلم وضياع لمصالح الناس وتيسير دينهم فالسنة مكملة للقرآن ومفسرة له .

ولو انتقلنا إلى جانب آخر من شخصية « أبي هريرة » لوجدناه قصة نجاح وكفاح ولنسمع ما يقوله هو عن نفسه .

قال : لقد نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا كنت أعمل أجيرًا لامرأة هي « بُسرة بنت غزوان » .

وكان يشتد بي الجوع وكنت أسأل الرجل من أصحابي عن آية وأنا أعلمها عسى أن يأخذني إلى بيته ويطعمني .

وقد اشتـد بي الجوع ذات يوم حتى شددت على بطني حجـرًا فمر بي أبو بكر فسألته عن آية وما سألته إلا ليدعوني . . . فما دعاني .

ثم مر عمر فلم يدعني أيضًا حتى مر النبي ﷺ وعرف ما بي من جوع فدعاني .

وبعد يا أبنـائي فتح الله على المسلمين وتدفـقت الغنائم من هنا وهناك وصار لأبي هريرة مـالاً وفيرًا ومنزلاً ومتاعًا وتزوج « بـسرة بنت غزوان » التي كان يعمل لها أجيرًا .

وكان دائم الحمد فيقول: الحـمد لله الذي جعل الدين قوامًا وصير أبا هريرة إمامًا . . . الحـمد لله الذي علم أبا هريرة القرآن . . . الحـمد لله الذي منَّ على أبي هريرة بصحبة محمد ﷺ .

وكان رضي الـله عنه من العابدين الأوابين يتناوب هـو وزوجته وابنـته قيـام الليل فيقوم ثلـثه وتقوم زوجتـه ثلثه وتقوم ابنتـه ثلثه وهكذا لا تمر ساعة إلا وفي بيت أبى هريرة طاعة وصلاة وذكر .

وروى عنه أنه كان يسبح ١٢ ألـف تسبيحة ويقـول: أسبح بقدر ذنوبي وكان له خيط فيه ألف عقدة لا ينام حتى يسبح به .

ومع ورعه وتقواه وعبادته كان أيضًا حليمًا كريمًا .

فقـد كانت له جـارية أساءت إليه يومًا فغضب ورفع السوط ليـضربها تأديبًا لـها ثم توقف وقال:

لولا القصاص يوم القـيامة لأوجعتك كمـا أذيتنا ، ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمـنك وأنا أحوج ما أكـون إليه . . . اذهبي أنت حـرة لوجه الله تعالى .

ومما يروى يا أبنائي من عظيم شمائله أنه كان لـه أم على الشرك رغم إسلامه ، يدعوها للإسلام بالحجة والإقناع فترفض وقالت له يومًا كلامًا عن النبي ﷺ أحـزنه وأبكاه فذهب للنبي يبكـي فقال النـبي ﷺ : « ما يبكيك يا أبا هريرة؟!» .

قـال : أمي يا رسـول الله كلمـا أدعـوها إلى الإسـلام تأبي واليـوم أسمعتني فيك ما أكره .

ثم قال: ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة للإسـلام . . . فدعا له النبي ﷺ . . فلما عـاد إلى البيت سمـع صوت الماء ورأى الباب مـغلق وأمه تقول : مكانك يا أبا هريرة « أي لا تدخل » .

فلمـا ارتدت ثيابهـا خرجـت إليه وقـالت : أشهـد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

عاد أبو هريرة إلى النبي ﷺ يبكي من الـفرح ويقول : لقد اسـتجاب الله لدعوتك وهدى أم أبي هريرة إلى الإسلام .

وبعد إسلام أمه كـان بارًا بها محسنًا إليها أكثـر مما كان قبل ذلك فإذا دخل عليها قال : السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته . . . رحمك الله كما ربيتني صغيرًا .

فتقـول أمه : وعليك السلام يا بني ورحمـة الله وبركاته . . ورحمك الله كما بررت بي كبيرًا . .

هذا هو يا أبنـائي « أبو هريرة » الإنسـان الذي حـفـظ كـمـا يقـول المؤرخون ما يزيد على ألف وستمائة حديث من أحاديث رسول الله ﷺ

وصور عظمته كثيرة ولكن نكتفي بهذا .

وتـوفى - رحـمه اللـه تعالى - فـي المدينة ، سنة سبع وخمسين .

وقيـل تسع وخمـسين في آخر خـلافة مـعاوية وله من العـمر ثمـاني وسبعون سنة .

❋ ❋ ❋

٧ - الشخصية السابعة

قام « أحـمد وشـقيقـته فـاطمة » بتـقديم المشـروبات المثلجة « لعـبد الرحمن» و « عبد الـله » في حجرة الضيوف قبل دخولهـم جميعًا على الشيخ إسماعيل الذي كانوا يستمعون إليه وكأن على رؤوسهم الطير فلما جلسوا وصافـحوه أذن لهم بالجلوس فجلسوا يعمـهم الصمت في انتظار حديثه .

فقال الشيخ إسماعـيل : لقد تحدثنا يا أبنائي في أول يوم عن صحابي جليل هو « أنس بن مـالك » رضي الله عنه واليوم نريد أن نتـحدث عن أمه وهي كما تعلمون « أم سليم » واسمها الحـقيقي اختلفوا فيه فقيل هو « الغميصاء » وقيل هو « الرميصاء » وقيل غير ذلك .

تزوجت « أم سليم » قـبل إسلامـهـا « مالك بن النضـر » وهو والد سيدنا « أنس بن مـالك » خادم رسول الله ﷺ كمـا قلنا من قبل ، ولما أسلمت ظل هو علـى الشرك وكـانت تلـقن ابنهـا « أنـس » الشـهـادة فتـقول له قل لا إله إلا الله محمد عبـده ورسوله ، فيسمع زوجها ذلك فيغضب ويقول : لا تفسدي عليَّ ابني ، ثم خرج يريد الشام فلقيه عدو له فقتله .

وتمر الأيام يا أبنائي ...

ويتقدم لِيخطبها سيدنا « أبو طلحة» ولـم يكـن قـد أسلـم بعد فقـالت له: أما إني فيك راغـبة وما مثلك يُرد ولكنـك رجـل كافـر وأنـا مسلمة

فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره ، فلما شرح الله صدره للإسلام ونطق بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله تزوجته وكان ذلك مهرها .

وهذا يا أبنائي أعظم مهر لإمرأة في التاريخ وأيسره .

ومما يذكر عن شجاعتها أنها كانت يوم حنين تسقي العطشى وتداوي الجرحى من المسلمين وكانت تحتفظ بخنجر على وسطها وهي حامل «بعبد الله بن أبي طلحة » ، وسألها النبي ﷺ عن هذا الخنجر فقال: «ما تصنعين به يا أم سليم ؟ »

قالت : أردت إن دنا أحد منهم مني طعنته .

وعن صبر أم سليم وقوة إيمانها ورضاها بقضاء الله ، لها في ذلك موقف يضرب به الأمثال عن قوة صبرها وحلمها ، ومن النادر أن نرى امرأة تفعل ما فعلت أم سليم ، والموقف باختصار أنه كان لأبي طلحة ابن مريض من أم سليم فمات فلما جاء وسألها عنه .

قالت : لقد استراح وتقصد إنه قد مات ، وظن هو أنه نائم ، فقدمت له العشاء فأكل وشبع وتزينت له أجمل من كل مرة كما تفعل الزوجة لزوجها فأصاب منها ، فلما رأت إنه أكل وشبع وأصاب منها أخبرته بموت ابنه .

فغضب لذلك غضبًا شديدًا ، وذهب في الصباح للنبي ﷺ وأخبره بما فعلته « أم سليم » ، فأعجب النبي بصبرها ورضاها فقال : هل عرستم الليلة ؟ قال : نعم ، فقال ﷺ : « بارك الله لكما في ليلتكما » .

فولدت له ببـركة دعاء النبي لهـما في هذه الليلة غـلامًا ذهبوا به إلى النبي ﷺ ، فحنكه بتمرة وسماه « عبد الله » .

ويقول بعضهم والله لقد رأيت له عـشرة أبناء كلهم حفظوا كتاب الله تعالى .

ولهذه المكانة والمنزلة العالية لأم سليم فقد زارها النبي في بيتها وصلى عندها تطوعًا وقال : يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقولي : سبحان الله عشـرًا والحمد لله عـشرًا والله أكبـر عشرًا ، ثم سلي الله عـز وجل ما شئت فإنه يقال لك . . . نعم نعم نعم .

رحم الله ورضي عن « أم سليم » فهـي بصبرها وشجـاعتها وورعـها وحكمتها أسوة حسنة لكل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر .

❋ ❋ ❋

٨ - الشخصية الثامنة

استقبل أحـمد صديقيه « عبد الله وعبـد الرحمن » ، وبعد رد السلام قال : تفضلوا فإن أبي في انتظارنا جميعًا مع شقيقتي « فاطمة » .

قال « عبد الله » : هل تأخرنا .

قال أحمد : لا ولكن اليوم الجمعة وأبي لا يخرج إلا للصلاة ، وكما تعلمون اليـوم إجازته الأسبـوعية . . دخلوا جـميعًا إلى حـجرة مكتب الشيخ إسـماعيل الذي قـام واستقـبلهم بالترحاب ثم طلب من الجـميع الجلوس والانتباه .

ثم قال : يا أبـنائي هل سمعـتم عن « أم أيمن » الصحـابية المعـروفة باسم « بركة » وهي التي تولت رعاية النبي ﷺ بعد وفاة أمه « آمنة بنت وهب » والتي أحبها النبي ﷺ حبًا عظيمًا ، وقال عنها : « هي أمي بعد أمي وبقية أهل بيتي» .

قال « عبد الرحمن » : نعم جميعًا نعلم ذلك .

قـال الشيـخ : عظـيم . . إن « أم أيمـــن » هـي زوجة سيـدنـا « زيد ابن حـارثة » حـب رسـول الـله ﷺ والـذي تبناه النـبي في الجاهليـة وأصـبح أسـمه ، زيـد ابن مـحمد ﷺ حـتى بعـثه الـله ، وحـرم التبني فـعاد إلـيـه اسـمه « زيـد بن حارثة » ، ولكنه ظـل قريبًا من قلب النبي ﷺ .

قالت « فاطمة » : نعم يا أبي لقد سمعت هذا من مدرسة التربية الدينية أمس .

قال الشيخ : حسنًا .. دعوني أسألكم سؤالاً ، إذا كانت «أم أيمن» ولها ما لها من مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ زوجة لسيدنا « زيد » وكما كانوا يقولون عنه هو « حب رسول الله ﷺ » .

والسؤال هو .. ماذا تعتقدون رد فعل النبي ﷺ عندما يعلم بخبر ميلاد أول مولود لهما ؟

قال « أحمد » نيابة عن الجميع سوف يكون أسعد خبر على قلب النبي ﷺ وسوف يسر بذلك سرورًا عظيمًا .

قال الشيخ : نعم يا أبنائي .. هذا ما حدث وسمى هذا المولود «أسامة بن زيد » وأحبه النبي ﷺ حبًا جمًا حتى لقب بأنه « الحب بن الحب » .

وهذا هو شخصية اليوم من الصحابة وهو محور حديثنا اليوم إن شاء الله تعالى .

واستطرد الشيخ إسماعيل يروي فماذا قال ؟

أبنائي الصغار ..

إن محبة النبي ﷺ لسيدنا « أسامة » تفوق الوصف فقد كان مقاربًا في السن من ابن ابنته ﷺ « فاطمة الزهراء » وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وكان « أسامة » أسود البشرة شبيهًا بوالديه بينما سيدنا «الحسن » أبيض مشرق الوجه شبيهًا بالنبي ﷺ ، ولكن النبي ﷺ يعلمنا العدل بين الأبناء والرحمة بالصغار فقد كان يأخذ

«أسامة » فيضعه على إحدى فخذيه وسيدنا الحسن على فخذه الآخر ثم يضمهما إلى صدره في حنان ويقول : « اللهم إني أحبهما فأحبهما » .

ورآه يومًا أمام باب بيته وقد أصيبت رأسه وسال الدم من جرح بها فأشار « لعائشة » رضي الله عنها أن تزيل الدم من جرحه فلم تطب نفسها بذلك لسواد بشرته فقام النبي ﷺ وفعل ذلك بنفسه وهو يطيب خاطره بكلمات تذوب حبًا وحنانًا .

أما عن شجاعته ففيما يروى عنه أنه كان كأبيه « زيد بن حارثة » شجاعًا وذكيًا ، وعندما أراد المسلمون الجهاد في غزوة « أحد » جاء أسامة مع صبيان الصحابة يريدون الجهاد في سبيل الله ، فنظر إليهم النبي ﷺ وأخذ من وجده مناسبًا ورد الباقين لصغر سنهم ومن بينهم سيدنا « أسامة » فرجع وعيناه تدمع ألمًا وحسرة .

إنه يا أبنائي . . . لا يبكي لأنه منعه من اللعب واللهو بل منعه من الجهاد في سبيل الله بالنفس . . هذا ما أبكاه !!

إن قلب « أسامة » كان عامرًا بحب الله ورسوله لذلك لم ييأس أبدًا .

وفي غزوة الخندق جاءته الفرصة مع فتيان الصحابة وأخذ يشد قامته ويرفع رجليه حتى يجيزه النبي ﷺ فأجازه وحمل السيف ليحارب أعداء الله وكان عمرة يومئذ ١٥ سنة .

وفي غزوة « مؤتة » كان « أسامة » يحارب بجانب أبيه « زيد بن حارثة » وعمره ١٨ سنة فرأى أمام عينيه أباه يستشهد وكان قائدًا

للجيش فتولى القيادة بعده « جعفر بن أبي طالب » فاستشهد ثم تولى « عبد الله بن رواحة » القيادة فلحق بصاحبيه فتولى القيادة « خالد بن الوليد » بحنكته ، وسيدنا « أسامة » يحارب بشجاعة تحت قيادة كل هؤلاء الفرسان ويبلى بلاء حسنًا شهد له الجميع رضي الله عنهم أجمعين .

فماذا كانت نتيجة هذه الشجاعة لشاب في مثل عمر « أسامة » لم يتجاوز العشرين عامًا .

حدث أمر لا يصدقه عقل ، ولكنها الحقيقة التاريخية التي يجب أن تسجل لقد جعل النبي ﷺ « أسامة » قائدًا عامًا لجيش المسلمين لغزو الروم وكانت دولة عظيمة وعلى أعلى مستوى تدريبي وتسليحي .

. . . جعله يا أبنائي قائدًا للجيش وعمره لا يتجاوز عشرين سنة وفي جيش المسلمين جهابذة الصحابة كأبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح وسعد بن أبي وقاص وغيرهم .

ألم أقل إنه شيء لا يصدقه عقل ، وبينما الجيش يستعد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

ولما تولى سيدنا « أبو بكر » الخلافة اعترض البعض على أن يتولى «أسامة » قيادة الجيش حتى أن « عمر بن الخطاب » حمل هذا الرأي لخليفة رسول الله ﷺ . . .

فماذا حدث يا أبنائي ؟

لقد غضب بشدة وقال – لعمر بن الخطاب رضي الله عنه – ثكلتك

أمك يا ابن الخطاب ولاه الرسول ﷺ وتأمرني أن أعزله والله لا يكون ذلك .

وانطلق « أسامة » بالجيش كما كان مخطط له قبل وفاة النبي ﷺ وكان عند حسن الظن به وانهزمت الروم هزيمة فادحة على يد المسلمين وغنموا غنائم كثيرة لم تحدث من قبل مما زاد من مكانة « أسامة » ونال احترام الجميع من كبار الصحابة .

وتمر الأيام يا أبنائي ويموت خليفة رسول الله ﷺ سيدنا « أبو بكر الصديق » ، وأصبح « عمر بن الخطاب » أميرًا للمؤمنين ، وجعل لكل صحابي مرتبًا من بيت المال وأعطى سيدنا « أسامة » مرتبًا أكبر من ابنه «عبد الله » مما جعل «عبد الله بن عمر » يتساءل على سبيل الاستفسار عن السبب فقال لأبيه : يا أبت فرضت « لأسامة » أربعة آلاف وفرضت لي ثلاثة آلاف وما كان لأبيه من الفضل أكثر ما كان لك وليس له من الفضل أكثر مما لي .

فماذا قال عمر ؟ لقد قال في حق « أسامة » كلامًا رائعًا .

قال لابنه « عبد الله » : كان أبيه أحب إلى رسول الله من أبيك ، وكان هو أحب إلى رسول الله منك ، فرضي « عبد الله بن عمر » بما أعطاه أبوه .

وكلما رأى « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه « أسامة » يقول : مرحبًا بأميري . .

فيتعجب ! الفاروق أمير المؤمنين ينادي على هذا الشاب «بأميري » .

فيبـتـسم « عمر بـن الخطـاب » ويقـول : لقـد أمـرهُ علىَّ رسول الله ﷺ .

نعم يا أبنائي

إنها قصة شاب أحبه النبي ﷺ وأحب أباه من قبله فلقبوه « بالحب بن الحب » « أسامة بن زيد » رضي الله عنهما وجمـعنا معهما في الفردوس الأعلى إن مولانا على ما يشاء قدير .

❋ ❋ ❋

٩ - الشخصية التاسعة

نظر الشيخ « إسماعيل » للأطفال وقال :

أبنائي الصغـار حديثنا اليوم عن شـخصيـة كانت تبحث عن السـعادة الحقـيقية فلم تجـدها في المال أو الحسب والنسب ، وإنما في معـرفة الله تعالى . . . تعالوا أبنائي الصغار نتحدث عن البـاحث عن الحقيقة سيدنا « سلمان الفارسي » رضي الله عنه وأرضاه .

قال أحـمد : آسـف للمـقاطعة يا أبي ولكني سـمـعت أن أبـاه أحـد أمراء الـفرس وكـان قومـه يعبـدون النار من دون الله والعيـاذ بالله رب العالمين .

قال الشيخ : نعم يا بني ومن هنا كانـت البداية للهداية ورحلة البحث الطويلة لمعرفـة الله تعالى ، وأرجو أن لا يقاطعني أحـد حتى أنتهي . . اتفقنا ، قالوا جميعًا : نعم اتفقنا .

وبدأ الشيخ إسماعيل يروي قصـة إسلام سيدنا « سلمان الفارسي » أو الباحث عن الحقيقة فماذا قال ؟

أبنائي وأحبابي الصغار

لقد كـان سلمان أحد ذوى الحسب والشـرف فقد كان أبوه أمـيرًا من أمراء الفـرس الذين يعبدون النار ، وطلب منـه أبوه أن يجلس أمام النار المقدسة يزودها بالوقود حتى تظل مشتعلة ولا تنطفأ أبدًا .

ولقد أعطى الله تعالى « سلمان » عـقلاً وذكاءً ليفكر وينظر ويتدبر ، فكان يسـأل نفسـه إذا كانت هذه النار إلهًا كـما يقـول أبوه . . . فكيف تحتـاج إلى من يمدها بالوقود لتظل مشـتعلة ؟! هـل الآلهـة تحتاج إلـى غيرها .

ظل السؤال حائرًا في ذهنه . . .

وجاءت الفـرصة لمعرفة الإجـابة . . عندما أرسله أبوه لأمر مـا فرأى بعض الرهبان في كنيـسة يتعبـدون ويصلون بطريقة مخـتلفة أعجبـه الأمر ووجده خـيرًا مما يعـبد ، وذكـر لأبيه هذا وخـاف أبوه أن يرتد عن دينه فحبسه في البيت وقيد رجليه حتى لا يهرب .

ولكنه اسـتـطاع الهـرب وسـأل القـوم عن أصل هـذا الدين وكـيف الوصول إليه؟ فدلوه على بلاد الشام منبع الأديان .

فتـرك ما فـيه من رفاهيـة العيش وفـر إلى بلاد الشام في رحلة شـاقة وعسيرة ليعرف الحقيقة ليعبد الله على بصيرة من أمره .

فلما وصل سأل عن أفضل رجل من أهل هذا الدين ..

فقـالوا له: فلان ، فذهب إليـه وطلب أن يخدمه ليـتعلم منه ، وظل معه فوجده رجل سوء يأمر الناس بالصـدقة ثم يأخذها لنفسه ولا يعطيها للفقراء والمساكين فأبغضه ، فلما مات أخبرهم بحاله ودلهم على الذهب والأموال .

فجعلوا رجـلاً مكانه يقوم بأمر دينهم وبقى « سلمان » يخدمـه ليتعلم منه فوجده على خـير ، ولما حضرته الوفاة طلـب منه أن ينصحه إلى من يذهب فدله على راهب آخر فذهب إليه .

وهكذا يا أبنائي سنوات طويلة في خدمة هؤلاء بحثًا عن السعادة الحقيقية ولكنه مع ذلك لم يجدها ، واستطاع خلال هذه السنوات أن يدخر بعض المال من خدمة الرهبان فاشترى بعض البقرات والغنم .

وتمر الأيام يا أبنائي وآخر من تولى خدمته من الرهبان أدركته المنية فطلب « سلمان » أن يوصيه بمن يذهب إليه فقال : يا بني والله ما أعلم أحدًا على ظهر الأرض بما كنت عليه ولكن إذا أردت الحقيقة فاذهب إلى بلاد الحجاز فإن هناك رجلاً قد بعث واسمه « محمد ﷺ » فهو الحق كله اتبع كلامه ولو خالف كلامي كلامه فاتبع كلامه هو وله ثلاث علامات :

العلامة الأولى : أنه لا يقبل الصدقة .

العلامة الثانية : أنه يقبل الهدية .

العلامة الثالثة : أن بين كتفيه خاتم النبوة .

فلما مات ذهب ومعه البقرات والغنم يبحث عن طريق للسفر إلى بلاد الحجاز حيث السعادة الحقيقية فوجد بعض العرب وطلب أن يأخذوه معهم مقابل هذه البقرات والغنم فخدعوه وأخذوها منه بعد وصوله وباعوه كالرقيق لرجل يهودي في المدينة المنورة ، وظل فيها في خدمة اليهودي حتى هاجر النبي إليها .

تناول الشيخ إسماعيل بعض الماء واستطرد قائلاً . . .

وبعد استقرار النبي في المدينة أسرع « سلمان » إليه ببعض التمر ليتأكد من العلامات الثلاثة ليدرك إن كان النبي المقصود أم لا ؟ .

فجاء للنبي بالتمر وقال : إنك رجل صالح ولك أصحاب غرباء وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم « وهو يريد أن ينظر أيأكل النبي من الصدقة أم لا ؟ . . .

فدعــا النبي أصحــابه فأكلوا ولم يأكل مــعهم فقــال « سلمــان » فــي نفـسه : هذه واحدة .

وفي اليوم التالي كرر نفس العمل وقال « إنها هدية » .

فطلب النبي ﷺ من أصحابه أن يأكلوا وأكل معهم .

فقال « سلمان » هذه الثانية .

وظل « سلمان » يلاحق النبي ﷺ حتى يرى العلامة الثالثة وهي خاتم النبوة بين كتفيه .

وجاءت الفرصة

في جنازة لميت وبعــد الدفن أخــذ « سلمــان » يدور حــول النبي ﷺ ليرى الخــاتم فلما رآه النبي ﷺ عــرف غرضــه فكشف عن كتــفه ورأى «سلمان » اكــتمال الأدلة لمــن عــنده السعادة الحــقيقــية فأخــذ يبكي بعد سنوات الشقاء والترحال ، وأخــبر النبي ﷺ بقصته فعجب لها وسره أن يسمعها أصحابه فعجبوا منها أشد العجب .

وهذه يا أبنــائي كــانــت نهايــة رحلــة البحـــث عن الحقيــقة وعن الإله الحق . . .

هل يريد أحد أن يسأل؟

قال « عبد الله » : نعم . . . أريد أن أعــرف كيف أصبح « سلمان » بعد معرفته للحقيقة واجتماعه بالنبي وإسلامه؟

٨ - الشخصية الثامنة

استقبل أحـــمد صديقيه « عبد الله وعبـد الرحمن » ، وبعد رد السلام قال : تفضلوا فإن أبي في انتظارنا جميعًا مع شقيقتي « فاطمة » .

قال « عبد الله » : هل تأخرنا .

قال أحمد : لا ولكن اليوم الجمعة وأبي لا يخرج إلا للصلاة ، وكما تعلمون اليـــوم إجازته الأسبـــوعية . . دخلوا جـــميعًا إلى حـــجرة مكتب الشيخ إســـماعيل الذي قـــام واستقـــبلهم بالترحاب ثم طلب من الجـــميع الجلوس والانتباه .

ثم قال : يا أبـــنائي هل سمعـــتم عن « أم أيمن » الصحـــابية المعـــروفة باسم « بركة » وهي التي تولت رعاية النبي ﷺ بعد وفاة أمه « آمنة بنت وهب » والتي أحبها النبي ﷺ حبًا عظيمًا ، وقال عنها : « هي أمي بعد أمي وبقية أهل بيتي» .

قال « عبد الرحمن » : نعم جميعًا نعلم ذلك .

قـــال الشـــيخ : عظـــيم . . إن « أم أيـــمـــن » هـــي زوجـة سيـــدنـــا « زيد ابن حـــارثة » حـــب رســـول الـلـه ﷺ والـــذي تبناه النـــبي في الجاهليـــة وأصـــبح أســـمه ، زيـــد ابن مـــحمد ﷺ حـــتى بعـــثه الـــله ، وحـــرم التبني فـــعاد إلـــيـــه اسمه « زيـــد بن حارثة » ، ولكنه ظـــل قريبًا من قلب النبي ﷺ .

إنهـا العظـمة التـي ليس بعدها عظـمـة والشرف الذي ليس بعـده شرف .

ومواقف سلمان في تواضعه وعبـادته كثيرة ولكن يا أبنائي أرى الساعة قد انتهت فـتذكروا دائمًا « سلمان الفـارسي » الباحث عن الحقيـقة حتى وجدها وترك من أجلها حياة الرفاهيـة والسعادة الزائفة في عبادة النار في بلاد فارس .

❋ ❋ ❋

١٠ - الشخصية العاشرة

نظر الشيخ « إسماعيل » إلى الأطفـال وقال : ربما كان ما أقوله لكم سوف لا يعجبكم ولكن يا أبنائي أعـدكم بأنني سوف أتحدث إليكم قريبًا إن شاء الله تعـالى وهذه هي الشخصيـة الأخيرة في حديثنا عن صـحابة النبي ﷺ رجالاً ونسـاءً ، وكما يقولون لنجـعل ختامه مسـك ونتحدث اليوم عن شـخصية قـريبة من قلوبنا ولا أجد أفـضل من الحديث عن أم الحسن والحسين وسيدة نساء أهل الجنة « فاطمة الزهراء » رضي الله عنها ابنة النبي ﷺ .

قال « عبد الله » : ولكن لماذا ؟ هل نثقل عليك ؟

قال الشـيخ مقاطعًا : لا بنى ولكنه السـفر إلى السعودية لأداء عـمرة وكما قلت أعـدكم بعد عودتي إن شاء الله أن نكمل حـديثنا ووعد الحر دين عليه .

هل اتفقنا ؟

قالوا : نعم . . ونتمنى لك عمرة مقبولة إن شاء الله .

قـال الشـيـخ : إن شـاء الله تعـالى . . . ثم بـدأ يروي والأطفـال يستمعـون بمتعة ولذة وفي نفس الوقت بألم لانتهاء هذه الجلسـات الطيبة في رحـاب الصحـابة رضوان الله عليـهم أجـمعين حـتى يعود الشـيخ إسماعيل، بسلامة الله إليهم .

قال الشيخ «إسماعيل» : تعلمون يا أبنائي أن « فاطمة » رضي الله عنها أمها هي « خديجة بنت خويلد » أول زوجات النبي ﷺ وأم أولاده جميعًا عدا « إبراهيم » عليه السلام فأمه هي « مارية القبطية » رضي الله عنها .

وعندما بلغت « فاطمة » سن الخامسة عشرة زوجها أبوها ﷺ لابن عمها « علي بن أبي طالب » رضي الله عنه على مهر متواضع وكان جهازها عبارة عن خميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء وجرتين .

ويقول سيدنا « علي » رضي الله عنه :

لقد تزوجت « فاطمة » وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي ولها خادم غيرها .

ولقد أحبها النبي ﷺ حبًا عظيمًا وقال :

- « إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » .

- « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وكان ﷺ يغضب لغضبها ويرضى لرضاها ، فعندما أراد «علي» زوجها أن يتزوج عليها ابنة « أبي جهل » .

قام النبي وصعد المنبر وقال :

« إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا أذن إلا آن يريد « علي » أن

يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنها بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها .

فلم يتزوج « علي » عليها إلا بعد أن ماتت رضي الله عنها .

- أنجبت « فاطمة » من « علي بن أبي طالب » الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وزينب وأم كلثوم وقد تزوج « زينب » عبد الله ابن جعفر .

وتزوج « أم كلثوم » عمر بن الخطاب رضي الله عنها .

وكانت حياة « فاطمة » بسيطة متواضعة وربما تمر الأيام وليس في بيتها شيء ، دخل عليها النبي ﷺ يومًا فإذا بها ترتدي ثوبًا خشنًا من وبر الجمل ، وتجلس على الأرض وتدير الرحى تطحن الشعير أو القمح - لتصنع خبزًا . فرآها وهي تتصبب عرقًا من التعب والإرهاق .

ولما رأته قامت ورحبت بأبيها ﷺ وتناولت يده وقبلتها وتناول يدها وقبلها ثم مسح عن جبينها حبات العرق وقال :

« تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لعظيم الآخرة » .

وقد بلغ بها التعب والإرهاق هي وزوجها ما جعله يسألها أن تذهب لأبيها وتسأله خادمًا يساعدهما في شئون البيت فذهبا ولم يجدا عنده ما أرادا فعادوا إلى البيت .

وآتاهما النبي ﷺ وقد دخلا تحت لحاف من قطيفة إذا غطيا رؤوسهما انكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما فقاما حياءً منه فقال ﷺ : « مكانكما » .

ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟

قالا : بلى .

قال : كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا وتحمدان عشرًا وتكبران عشرًا ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين ، وكبرا أربعًا وثلاثين .

قال « علي » : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ .

وتمر الأيام يا أبنائي وأرسل إليها النبي ﷺ في لحظاته الأخيرة في الدنيا فجاءت وهي تمشي بمشية شبيهة بالنبي ﷺ فقال مرحبًا يا ابنتي فأجلسها عن يمينه أو على شماله ثم أخبرها بشيء فبكت ثم أخبرها بشيء آخر فضحكت .

وسألتها عائشة أم المؤمنين وقد كان ذلك في بيتها عن الضحك والبكاء فقالت : ما كنت لأفشي سرًا لرسول الله ﷺ ، ولما مات النبي ﷺ قالت :

في المرة الأولى قال : لقد حان أجلي وأنت أول أهل بيتي لحوقًا بي فبكيت .

وفي الثانية قال : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء العالمين ، فضحكت .

وقد ماتت بعده بستة أشهر رحمها الله ورضي عنها وأرضاها .

... وهكذا يا أبنائي

أستودعُ الله دينكم وأمانتكم وأوصيكم بمجالسة العلماء وتقوى الله تعالى كما أوصي نفسي بذلك .

وإلى أن نلتـقي إن شاء الله لا تنسـونا في دعائـكم وجـزاكـم الله عنا خيراً .

قال « عبـد الله وهو ينظر لأخيه » وقد بدوا وكـأنهما سيـبكيان : لقد استمعنا واستمتعنا بحديثك يا شيخ إسماعيل وسوف نظـل علـى اتصـال « بأحمد وفاطمـة » حتى نجتمع مرة أخرى إن شـاء الله بعد عودتك إلى أرض الوطن .

قال الشيخ متأثراً : إن شاء الله تعالى يا أبنائي .

وانصرف « عـبد الله وعـبد الرحمن » وودعـهما « أحـمد وشـقيقـته فاطمة» على أمل اللقاء بعد عودة الشيخ بإذن الله .

❋ ❋ ❋

الفهرس

❊ ❊ ❊